من تراب الطريق (٣٩٥) المرجان !(*)

المرجان عنوان قصيدة طويلة من ستة أحاديث ، للمحامى الفقيه الأديب الشاعر ، محمد عبد الله محمد .. فى ديوانه العارف .. استغرقت من صفحات الديوان ٢٨ ورقة .. وهى ككل أشعاره تفيض حكمةً وتضرب فى الأعماق وتتأمل فى أحوال الإنسان .. تبدأ القصيدة الحديث الأول فيما يبدو أنه لفت لمن تاه به غروره ، وملأ الدنيا صخبًا وضجيجا ، وغره التيه بنفسه حتى ظن أنه يمتلك الدنيا بما يحدثه من تأثير فى النفوس والمهج .. فهل دام له هذا التوهج ، أم غربت شمسه وصار عصفه صخبًا بلا طحن ولا تأثير ..

يمضى شاعرنا الحكيم محمد عبد الله محمد ـ يمضى فى القصيدة متابعا ما تقلب فيه من أحوال ، دون أن يمنعه ما ألم به من اتصاله بحبل الله واللجوء إلى رحابه ـ فهل بقى على لياذه بواحة الرب ، أم ناداه عناده ليخوض اللجج ويطرق كل سبيل دون أن يبلغ الشاطئ الذى يريد ..

لَمْ يَعُدْ عَصْفُكَ إلاّ صَخَبـًا ... ورَذَاذًا مـن فَمٍ ذى عِـوَجِ
بعد أنْ كنت تَهُزُّ المُهَجَا ... بحديثٍ يَنْتَهِـي فى المُهَـجِ

(*) المال ٢٧/ ١/ ٢٠١٠

حَامِلُ العُمْرِ عَلَىَ كاهِلِهِ يُؤْثِرُ الوَحْدةَ خَوْف الحَرَجِ
لَزِمَ الشَّط عَـلى خِـبْرتِه لَمْ يَعُدْ أهلًا لِخَـوْض اللُّجَجِ

***

ذلك الفَجْرُ جـديدٌ دائِمـًا جدَّةَ المْلـود عندَ المَولِـدِ
وَيَدُ الخَلاّقِ مِنْ مَكْمَنِهَا تُوقـظُ المَوْعود قبل المَوْعِـدِ
عَقْلُكَ الهَشُّ أشَاعَ السَّأمَا وَلَغَـا ما شَاءَ حَوْلَ المَقْصِـدِ
يَرْقُبُ الإبْداعَ فى مَغْرِبِه وَبَخُـورُ الْوَهْـمِ مِلْءُ الْموقِدِ

***

طَالَ يَا رِيحُ مُرُورُ السُّحُبِ أَمْطَرَتْ أرضًا وجازَتْ غَيرَهَـا
والتى جَازَتْ شَكَتْ أبَيَضَهَا والتى جَادَتْ بَكَتْ أخْضَرهَـا
غَلْطَةُ الريحِ وكـم تَفْعَلُها حَيَّرَ الريحَ الذى سَيَّرَهَـا
أيُّها المْختـارُ فى حِكْمتِـهِ غَلَبَ الحَيْرَةَ من صَابَرَهَـا

***

ذاكَ فِعْلُ الربِّ لا فِعلِى أنَا قَدْ تَنبهَّتَ لِحُلْمِ الحالِمِ
لم تعد نفسى حوالىَ وَفى داخِلى تمْلا شُقَوقَ العَالَـمِ
أشْهَدُ الدنيا ولن أمْلِكَهَا عَرَفَ القِصَّـةَ فَهْـمُ الفاهِمِ
وأنا بِالوُدِّ لَوْ أمنَـحُهُ أخْدِمُ القصَّةَ ـ طَوْعَ الناظِـمِ

***

ذلك المشلولُ صَلَّى المَغرِبَا قَبْل إطباقِ الظلامِ الحالِكِ
وجَّهَ الحمدَ إلى الله بـلا آهةِ العُتْبَـى وَيأسِ الهالِكِ
ما استَطَاعَ العجْزُ أَن يَمْنَعَهُ مِن أداءِ الحقِّ نَحْـوَ المَـالِكِ
ذلكَ المشلولُ فى وَحْدتِـه عَانَقَ الرحمنَ قبـلَ الناسـكِ

***

يا شُجَاعَ الوُدِّ لا يخْذُلُـهُ كم يَذِل العقْلُ فى الوُدِّ الذليـلْ
أنْتَ أعطيْتَ الذى تَمْلِكُـهْ أيُّها المُعْطِى كثيرًا مِنْ قَليـلْ
رُبَمـا لامَكَ شيْخٌ لَسِنٌ يَنْتَقِى الرَّدَّ ويختـارُ الدليـلْ
لمْ تَذُقْ طَعْمَ الرِّضا مهجتُهُ فهو يعتاضُ بديلًا ببديـــلْ

***

انْتَقَى دَوْرًا لَهُ يَلْعَبُـه بِعنَادٍ فَدُعِـى ذا خُلُـــقِ !
يَقْطَعُ العُمْـرَ عليه درَقٌ كالسلحفاةِ مشَتْ فِى دَرَقِ
لَمْ يطرْ شوقًا مع المُنطَلِقِ أو يُطَرِّف فى طيوُفِ الغَسَقِ
يَحْسَبُ الحكمةَ رِسْمَ الطُرُقِ ويَظُنُّ الرَّبَّ إحْدَى الطُـرُقِ

***

ما الذى يَجْرِى بهذا المْسَرحِ ذلك القَتْل وذاكَ الفَـزَعُ
السَّمَا تَجْمُـدُ عَيْناهَـــا فَلاَ يَرْتقِـى فيها أسًى أو جَزَعُ
وكأنَّ الحُزْنَ لا يُحزِنُهَـــا وكأنَّ الأرَضَ لا تَصْطَـرِعُ
وكأنّ الخلقَ فِى مَسرحِهـا للمُعَانَـاةِ عليها جُمِعُـوُا

***

لا تُبالغْ فى اصطِناعِ القَسْوَةِ لنْ تزيدَ البَحر مِلْحًا وعواصِفْ
تَحْطِمُ الأمواجُ فى غِلْظَتِها قَامَةِ الجَبَّارِ مسلوبِ العواطفْ
حَاجَةُ الخَلْقِ لمن يَرْحمُهَا لِيَدٍ مُدَّتْ لمحزون وخائفْ
وَصَبُورٍ ليس يَبْرِى صَبْرَهُ قُدْرَةُ العقْلِ على خَلْقِ المخَاوِفْ !!

***

لم يَعُدْ يَنْبَحُ جُرْحٌ نابحُ أسْكَتَ الكَبْتُ صِياحَ الألَمِ
أيها المرتاحُ فى خَلْوتِهِ مَمَّ تَسْتَغْفِرُ يا ذا النَّدَمِ ؟
فاتَك العَطْفُ ولَنْ تُمْنَحَهُ بقيامٍ فى الدُّجَى أو كَلِمِ
ذلكَ العطفُ الذى تُهْمِلُهُ هُوَ قلبُ الدينِ عِندَ الفَهِمِ

*****